الجمهورية العراقيـة
وزارة الثقافة والاعلام
مديرية الآثار العامه
بغـــداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار العراق وتاريخه

الجزء الاول والثاني | ١٩٦٨ م | المجلد الرابع والعشرون

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقديم	الدكتور عيسى سلمان
٣	كتابات الحضر	فؤاد سفر
٣٧	التنقيب في تل الصوان (الموسم الرابع)	الدكتور بهنام أبو الصوف
٣٩	نينوى (١٩٦٨)	الدكتور طارق مظلوم
٦٣	نصوص ادارية من العصر السومري الحديث	الدكتور فوزي رشيد
٨٧	النحت الاكدي	عادل ناجي
١٠١	الخط ـ اسلوبه وانواعه ومميزاته على النقود الاسلامية في العهد السلجوقي	الدكتور محمد باقر الحسيني
١١٩	شعار الدعوة العباسية على النقود المضروبة في ايران	مهاب البكري
١٢٧	النقود الاسلامية المضروبة بالبصرة على الطراز الساساني	وداد القزاز
١٣١	الخصائص العامة لمدرسة الموصل في التحف المعدنية	صلاح العبيدي
١٣٩	علماء الرياضيات والفلك في العراق في عهد آل بويه	عباس العزاوي
١٧١	مشهد الامام يحي بن القاسم	سعيد الديوه‌جي
١٨٣	التنقيبات الاثرية في لارسا (سنكره) ١٩٦٧	آندره پارو وترجمة جميل حمودي
١٩١	الطب البابلي والآشوري	البروفسور زينه لابات وترجمة الدكتور وليد الجادر

الانباء والتقارير والمراسلات

٢٠٩	منازه نظر في مباحث سومر	
٢٣١	نظرات في مباحث ومؤلفات	
٢٤١	منجزات ومشاريع الاثار ونبذ احصائية وانباء اخرى .	

الطب البابلي والآشوري

محاضرة للبروفسور رينه لابات القاها
بالفرنسية في باريس
وترجمها : الدكتور وليد الجادر

توطئة للمترجم

من المعروف اننا لم نعثر بين المكتشفات الاثرية حتى الآن على أي اداة او مواد استخدمت في حقل ممارسة الطب في وادي الرافدين القديم كذلك لم يعثر على أي منحوتة جدارية او رسومات تمثل سير عملية جراحية او مشاهد تبين معالجة الاطباء للمرضى مثل التي وجدناها ، على سبيل المثال ، في وعلى الجدران الداخلية لقبور الفراعنة القدماء • اما ما وجد من جماجم مثقوبة في موقع لكش فهو يؤيد على الارجح عنصرا اثريا في مجال الطب وفي حقل ممارسة الطبيب الجراحة وتثقيب وتشريح الجمجمة ولكننا لا نملك مع الاسف أي دليل على كيفية وماجريات تطبيق العملية بالتفصيل •

اما ما وجد من بعض اللقى الاثرية للآلات المستعملة من قبل طبيب الاسنان فانها متلوفة الى درجة لا تعيننا الا جزئيا على معرفة ممارسة هذا الفن الطبي •

اما النصوص المكتوبة على رقم الطين أو على الحجر (كما في مسلة الملك حمورابي مثلا) والمعالجة لموضوع الطب خلال حوالي الالف سنة من تاريخ وادي الرافدين العريق ، فانها تعطينا لوحة متكاملة تقريبا عن مزاولة هذه المهنة وتاريخها •

ان مسلة الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢–١٧٥٠ ق•م) والتي عثرت عليها البعثة الفرنسية في مدينة سوس عاصمة العيلاميين حيث نهبت من عاصمة البابليين على أيدي نفر من العيلاميين فانها تزين اليوم القاعة البابلية في متحف اللوفر في باريس •

ان تسعة من فصول قوانين حمورابي هذه تعالج مواضيع خاصة بممارسة الطبيب مهنة الطب (الفصول ٢١٥ـ٢٢٣) •

اننا نجد في فقرات هذه الفصول المبلغ الذي يدفعه المريض للطبيب والعقوبات المنصوص عليها في حالة ارتكابه لهفوات كبيرة ، ينص القانون كذلك على اختلافات في الاسعار حسب الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها المريض • وعلى الأغلب كان السعر هو خمسة شيقلات من الفضة أي حوالى الاربعين غراما ، هذا فيما اذا كان المعالج رجلا حرا ، وينخفض السعر الى ٢٠ غراما من الفضة فقط اذا كان المريض عبدا • ان الاجر المدفوع لقاء عملية كبرى يكون مضاعفا ويصل السعر الى ١٦٨ غراما وحتى ٨٥٠ غراما من معدن نادر •

ان العقوبة التي يواجهها الطبيب في حالة ارتكاب الاخطاء الخاصة بمهنته كانت تصل الى حد قطع يده في حالة ثبوت الحكم عليه بكونه المسبب في موت مريض هذا عدا عقوبات اخرى نص عليها القانون كذلك •

ان هذه النصوص البالغة الاهمية ترينا بصورة واضحة التأكيد والحرص الذي أبداه الملك البابلي حمورابي للمحافظة على حقوق المواطنين بكافة مستوياتهم الاجتماعية الى جانب اعطائه وثائق عميقة الاهمية حول موضوع الطب وممارسته واختصاصاته ومدى انتشاره بين طبقات الشعب في وادي الرافدين •

المحاضرة

في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد زار المؤرخ الاغريقي هيرودوتس[1] وادي الرافدين وكان مما رآه من العادات والتقاليد التي جلبت اهتمامه الكبير خلال سفرته هذه انه دون يقول : « ان البابليين كانوا ينقلون مرضاهم خارج منازلهم لانهم لم يملكوا الاطباء في ذلك العصر وكان المارون يتقربون من هؤلاء المرضى ويعطي كل واحد منهم وصاياه للمريض بخصوص مرضه »•

ان ممارسة الطب ومهنة الطب سحرت الرحالة المؤرخ هيرودوتس حيث انه في زيارته لمصر دون قائلا : « هنا كل مكان مملوء بالاطباء ، بعضهم أخصائيون بالعيون وآخرون بالرأس ، بالاسنان، بالامراض الباطنية وبأمراض اخرى لاحصر لها »•

كذلك لو صدقنا بما كتبه الرحالة هيرودوتس وعن كل ماكتبه عن الحضارتين الكبيرتين وبصورة خاصة عن ممارسة الطب فيها لعرفنا بأن المجال الطبي في حضارة وادي الرافدين كان متأخرا جدا عنه في حضارة وادي النيل • ولكن الواقع ان هيرودوتس كان مخطئا • فالاطباء ثبت وجودهم في كل عصور بابل وكذلك عند الاشوريين واللغة الاكدية من جهة اخرى هي اللغة السامية القديمة الوحيدة التي حوت الاسم أو الوصف (asoû) والتي تعني الطب والطبيب والكلمة هذه آتية

(١) سمي المؤرخ هيرودوتس «أبو التاريخ» ، ولد في مدينة هاليكاوناس في حوالي ٤٨٤ ق•م وتوفي في حوالي ٤٢٠ ق•م • رحالة مشهور يروي في مجلدات الحوادث والاساطير الواقعية التي عرفتنا بحضارات المصريين والميديين والفرس وحضارة وادي الرافدين والحضارة الاغريقية أيضا •
« المترجم »

من اللغة السومرية حيث A. zou تعني : « الذي يعرف الماء .. هذا الى جانب اصطلاحات متعددة اخرى ترمز الى أشخاص تتعلق مهنهم بمهنـــة الطب أيضا وخاصة في معالجة الجانب النفسي من الامراض مثل الـ baroû والـ ashipou

ومن القرن الرابع عشر قبل الميلاد تملـك رسائل أجنبية (من خارج وادي الرافدين) تؤكد بأن الاطبـــاء البابليين كانوا مُعظمين ومحترمين ومقدرين وكانوا يُدعَون الى البلدان المجـاورة لاستشارتهم والاستفادة من جدارتهم وتقـــدمهم العلمي ورسائل مدينـــة ماري تصف لنا الطب البابلي وتشرح أسماء وفعاليات جملة أطباء بابليين كانوا في خدمة الملك والحكام التـــابعين له في المناطق المجاورة . لقد كانت ترقيتهم الى مناصب أعلى تجري من قبل الملك نفسه وبصورة مباشرة وهو الذي يتدخل شخصيا لتثبيت تعيينهم بصورة مؤقتة أو دائمة في داخل بلاطه أو خارجه في الاقاليم والمدن التابعة لملكه ، اضافة الى ما سبق ، نجد ان قانون حمورابي الشهير ناصا على وجود أطباء مستقلين اجيزوا ممارسة فنون طبهم حيثما شاءوا ومن جهة اخرى نجد النص على اجـرة مراجعتهم وتثبيتها من قبل القانون وأيضا نجـد ان العقاب القانوني يأخذ مجراه في حالة خطـأ الطبيب وتسببه بوقوع حادثة معينة . ويظهر ان العقاب كان صارما جدا بحيث نجد القانون ينص على بتر يد الطبيب الـــذي يسبب موت المريض خلال العملية (اذا كان رجلا حرا وليس عبدا). أما أصحاب المرتبات فكانت الحالة تختلف حسب الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها المريض وكذلك حسب خطورة حالته . فكانت اجرة عملية التجبير البسيطة لكسر أو معالجة ما عادية يدفع لها خمسة شيقلات من الفضة (كل شيقل يعادل حوالي ٨ غرامات) اذا كان المراجع رجلا حرا وشيقلين فقط في حالة كونه عبدا . نجد كذلك انه خلال اجراء العمليات المعقدة في حالة حدوث خطأ معين فيها فانها تسبب تطبيق قانون العقوبات على ممارس الطب هذا ، ونجد ان السعر يرتفع في بعض الحالات الى عشرة شيقلات من الفضـــة : تتدرج أيضا الى ١٦٨ـ٨٤٠ غراما من معدن معين والذي كان في هذا العصر أكثر طلبا وأغـــلى ثمنا من الذهب .

ان مكافأة الطبيب كانت شريفة ونزيهة جدا وتشـهد على رفعة شأن هذه المهنة ودور الطبيب في المجتمع واعتباره الشخصي في ذلك العصر .

والحالة نفس الشيء تقريبا عند الاشوريين في أكثر الاحيان . فبالاضافة الى الرسائل التي جاءتنا من مدينة ماري والتي وجدت في مدينـــة آشور ومع كون هذه الرسائل متأخرة جـــدا بالنسبة للبابليين فانها عرفتنا بصورة دقيقة وصريحة جدا بشخصيات الاطباء الذين كانوا غالبا في خدمة البـــلاط ، وحتى الذين كانوا يعيشون خارج البلاط كانوا ملزمين بخدمته . وتظهر لنا هذه الرسائـل بان الاطبـاء في عاصمة المملكة كانوا منظمين في نقابات طبقا لدرجاتهم ومراتبهم العلمية، حيث نجد من بينهم من يحمل لقب رئيس الاطباء

وهو لقب لم نصادفه في كتابات ولا في قوانين حمورابي عند البابليين وأيضا نجد انه كان على هؤلاء الاطباء أن يؤدوا قسماً أو يمين الولاء الى العرش • في هذا المجتمع حيث مراعاة وتأثير الالهة في كل مكان ، نجد الاطباء كغيرهم من المواطنين العاديين أو رجال الدين لهم الهتهم الخاصة والحامية • فنجد ذكر الالهة گولا (السيدة الشافية) و (المنجدة الكبيرة) ، (سيدة الحياة) ، (التي تبعث الاموات) وزوجها نينورتا الذي ظل على ظلال قبور الموتى أنشأ أول مدارس الطب •

ان أشهر مدارس الطب هذه تقع في نيبور وفي ايسن ثم في بورسبا وبالفعل فمن هذه المدينة الاخيرة نملك أكثر الكتابات الطبية على رقم الطين والتي من نيبور حيث معبد گولا الشهير كان ولا شك من أقدم المعابد وأكثرها جلبا للاحترام حيث وجدت الوثيقتان الطبيتان الشهيرتان ومكتوبتان بالكتابة المسمارية باللغة السومرية من القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد • وهاتان الوثيقتان تعتبران حاليا من أقدم الوثائق الطبية التي عرفها تاريخ البشرية جمعاء ، وما وجد في هذا المعبد (گولا) من رقم طينية طبية اخرى تعود الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد من العصر الكاشي عندنا مجموعة من الرسائل التي تذكر وجود مستشفى خاصة بمعالجة مغنين ومغنيات المعبد •

ان شهرة هذا المعبد في مركز مدينة نيبور كانت ذائعة الصيت في العالم القديم ففي رواية هزلية آشورية من القرن الثامن قبل الميلاد نجد بطل الرواية هذه يذكر متفاخرا بكونه طبيبا كبيرا من مدرسة ايسن •

كل ما تقدم يظهر عكس تدوين وقول هيرودوتس حول الطب البابلي والذي عندنا اليوم من التفاصيل والمعلومات الكافية التي تخص الاطباء خلال العصور القديمة في وادي الرافدين ونضيف بأنه يمكن القول انه لم تصلنا حتى الان بعض التفاصيل حول علم الطب نفسه فهذا ما نعترف به اليوم ومع ذلك فاننا نملك أعدادا كافية ومعتبرة من النصوص التي تعتبر طبية بالاضافة الى مئآت اخرى من رقم الطين والتي من بينها نصوص طويلة جدا لها علاقة عميقة بالطب• ومن العجيب أن تكون نفس هذه المستندات الطبية تحمل البعض على الظن بصورة خاطئة فانها أفكار ومحتوى الطب الاكدي •

فالذي يجب ملاحظته ان هذه المستندات لم تكن أغلبها من مؤلفات الاطباء أنفسهم وباعتبار ان أغلبها جاءنا من المكتبات العامرة الاشورية من مدينة آشور ونينوى والتي بنيت بعد الالف الاول قبل الميلاد • نسخت هذه الوثائق أو المستندات على النسخ الاصلية البابلية في عصرها الذهبي في الآداب في أواسط الالف الثاني قبل الميلاد ، العصر الذي كانت فيه مدارس النساخ قد انتشرت على نطاق واسع جدا والتي ساهمت في تبيان وتفصيل كل ما وصلت اليه المعرفة الانسانية • نظم النساخ التابعين لهذه المدارس واستنسخوا هذه المعارف في مجموعات مرتبة أخذ الطب بطبيعة الحال نصيب في هذا الترتيب حيث ان المستندات العائدة لهذا الحقل (الطب) كانت منتشرة ومبعثرة ومنها ما كان جدليا •

ففيما يخص المصادر الطبية فقد جمعت في بحوث ومقالات تتعلق بالامراض وأعراضـــها وعلاجاتها • ان الادب الطبي[٢] (la littérature médicale) والذي بحوزتنا لم تكن قـد نسخت مقالاته برغبة الاطباء في نسخ وكتابة مجموعة علومهم وانما العكس فانهم يؤمرون ولكنهم يرغبون في الكتابة في أحوال استثنائية فقط ويمكن للباحث أن يفكر بأن تلامذة هؤلاء الاطباء وطريقة تعليمهم كانت تجري على نطاق عالي جدا ومستوى عميق الادراك والفهم ألا وهو التعليم الشفوي والتدريب العملي وهذا يوافق تطبيق زملائهم العلماء الذين يخالفون عملية تدوين الاسس النظرية والقواعد الصعبة الفهم لعلومهم (abstraites) •

وكان المبدأ أن لا يكون بالكتابة الا القواعد والنقاط السهلة النسيان أو تلك التي تتضمن نصا حرفيا وما بقي يتعلـــق بالشروح والتعليمات من قبل الاستاذ المشرف ، كذلك فان جزءا كبيرا من علوم الطب في وادي الرافدين اضافة الى علوم اخرى بقيت مجهولة لدينا لا نعرف دقائقها فمثلا : لم يترك الاطباء البابليون لنا أي أثر كتابي له علاقة بعلم الجراحة ومع ذلك نجد ان قانون حمورابي يخبرنا بأن الاطباء المتمرنين في هـــذا العصر لم يجدوا صعوبة حتى في العمليات الصعبة المخطرة التي اجريت لمرضاهم وعندنا ذكر الاجر الذي كانوا يطلبونه مثلا لتجبير عضو مكســـور وارجاعه الى مكانه ولكن نجهل الفنون الخاصة بذلك ما عدا ذكرهم تفاصيل ثانوية حول موضوع الكسـور ومن انهم كانوا بحاجـــة الى الزيت لذلك وفي أحد النصوص (مع الاسف متلوف قسم منه) نجد التلميح الى ذكر العين وبؤبئهـــا غير الشفاف وذكـــر المشراط (المبضع) ويكفي هـذان للاثبات بأنهم مارســوا عمليـــة فتـــح العين ومعالجة مرض (الماء الازرق) ، أيضا نجد ذكر بَزْل الاميا الكبدية بصورة عرضية في معرض الكلام عن العمليات الجراحية • اضـافة الى معرفـــة كـــون الاطبـــاء البابليـــين أجروا العملية القيصرية من ذكر الاسم الذي اعطي الى مولود • كذلك نتأكد من أن الاطبـاء البابليين مارسوا عملية فتح الجمجمة لمعالجة مرض معين اعراضه ظهور حبيبات أشبه بالبويضات فوق الجمجمة • هذا اضافة الى الشواهد غير المباشرة والتي تشير الى معارف وأساليب وتقاليد اخـــرى والتي لا نعرف تفاصيلها بالضبط •

يوجد في هذا الادب الذي ندعوه أدب الطب والذي هو في الواقع جزء من العلوم الواســـعة التي ضمها هذا الادب وبحثها وجمعها ، ففي معرض الكلام عن أعراض الامراض والامراض نفسها توجد عدة مصادر طبية وبهذا نتأكد من ان الطب كان متناولا من النصوص الطبية الصـــرفة وغيرها من العلوم المجاورة الاخرى كعلم العرافة والفأل والكهانة وبصورة خاصة (علم السحر) وفي بعض الحالات نجد في نفس الرقيم الطيني جنبا الى جنب ذكر صلوات وطقوس سحرية مـــع مواضيع طبية صرفة •

في الواقـــع ان البابليين والآشوريين كانوا يعيشون في عـــالم اعتقدوا بأنه ليس فقط تحت

(٢) يعني هنا بالادب الطبي هو ما نشر من ادبيات مختلفة حول الطب • « المترجم »

سيطرتهم وحدهم وانما تشاركهم الالهة في ذلك أيضـــا ، وان بغضهـا على الاعمـال السيئة المدفوعة من قبل الشياطين كانت هذه الالهةتحمي الشعب أيضا وتدافع عنه ضد أعمالالشياطينوذلك بوساطة الالهـة الحامية (المـــلاك الحارس) · اعتقدوا أيضا بأن السحر وسيلة فعالة لمصـــارعة البلبلة والتخلخل العضوي (Physiologiques) الناتج حسب اعتقادهم عن اصول غـــير طبيعية ، ويقصد بالسحر هنا ليس السحر الممارسبصورة خفية وهو المضر والمؤذي والمنتشر بين الشـعوب البدائية ولكن العكس كان في وادي الرافدين وباعتبار ان بعض الامراض كانت تعالج سرا من قبل المشعوذين فان هؤلاء كانوا يعاقبون بشدة من قبل القانون ، والسحر الصحيح كان يمارس في وادي الرافدين من قبل رجال الدين وكانت ممارسته مقدسة منذ تأسيسه ، الهي في استلهامه ، حامي في أهدافه • ان السحر في وادي الرافدين جاوز كل الخرافات واعتبر مقدسا ومبنيا عـــلى الحلول العقلية والروحانية المستمدة من فهـــم العالم وعناصره الحية وغير الحية والتي لا تُعد من نِعَمْ الضمير أو الارادة أو القوة •

ان ميكانيكية العالم كانت حتمية بنظرهـم وقوة هذه الميكانيكية المسيرة للعالم كانت متجهة بعضها نحو الارادة الالهية والبعض الاخر نحو فوضى العناصر المكونة والعلاقة بين الاثنين كانت غير متوازنة وما المرض الذي يصيب اعضاء الجسم البشريالا تعبيرا عن هذا التوازنالقابل للاضطراب والابطال •

ان العلاج السحري الذي يمارسه رجـال الدين هؤلاء كان علاجا مجمدا به من ناحيـة وحقيقة مؤكدة من ناحية أخرى •

ان معرفة وتشخيص المرض الوبيل واسبابه كان مبنيا على أساس الفحص الطبي والى جانب ذلك كان هذا التشخيص يعتمد مع اللباقة وسرعة الادراك والبديهة والتي يتميز بها الطبيب العارف بفن واسرار المهنة •

ان المعرفة العجيبة التي تعكسها لنا الكتابات عن مهارة (رجال الدين السحرة) في تشخيص الامراض واعطاء مسببات بعضهـا للمذنبين من الجن والمشعوذين ومن التعديعلى الاشياء المقدسة، ان هذه التشخيصات ذكرت مكتوبة على لوحات تشخيص الامراض في المستشفى وموقعة من قبل رجال الدين السحرة هؤلاء • ان من أدهى اسـلحتهم وأكثرها تأثـيرا كان قـراءة الرقي والتعاويـــذ التي تمارس بمعونة الالهة والكلام المرتب المنمق له تأثـيره أيضا وكذلك تصاحب هذه المقدمات طقوس سرية معينة وعناصر هذه الطقوسالرئيسية كانت تستخدمفي وادي الرافدين كما عند أغلب الشعوب القديمة ومنها حتى يومنا هذا ـ تتلخص هذه الطقوس باستعمال الوان ورمزية معينة وطرد الشر بالقوة بوساطة عمل عُقد من الحبال او الخيوط ذات الالوان ، استخدام الدوائر والارقام ، واظهار القوى الجاذبية او الدافعةلعناصر معينة ، التطهير بالماء ، اضرام النيران، اظهار اصطدام ورجوع القوى الخفية وأخيرا الايهام بتبديل مواضع جلوس الاشخاص • هذه الطقوس والصلوات والصور السحرية يصلح ان يطلق عليها عبارة (الطب السحري) نجدهـا مختلطة مع معالجات مرضية بصورة أكثر علمية

كما هو مذكور عندنا في النصوص الطبية •

ان الخاصية المزدوجة لهذه النصوص تجعل البعض على الحكم بسطحية الطب الاكدي ، وما وصلنا من تشخيص والوقوف على معرفة حالات المرضى بالذنوب والخطيئة والذين بهم مس من الشيطان من الناحية العلمية متشابهة في صحـة الاطلاق عليها بالطب السحري حيث باصلاح ذات البين بين المخطىء والالـه بتحريره من الشعوذة وبطرد الشيطان من داخله ورجل الدين يستطيع بعد ذلك شفاءه •

ومن الطريف ذكره اننا نجد النص على التخوف والحذر والتطير احيانا من اكتشـاف طب جديد او غير معروف في ذلك العصر فكان لايصار له أية أهمية وكانت شوافع توضيحاتهم تعتمد على ابراز صور تظهر اخراج الارواح الشريرة او تجسيمات الاوجه القبيحـــة للجن • وهنا يجب التمييز بدقة بين هذين العلمين (الطب العلمي وطب السحرة) ليس فقط بالعبارات والاصطلاحات التي تميز الواحد عن الآخـــر وبالاختصاصين الممارسين لكل منهما بل أيضا بالعقلية المعالجة وطرق العلاج ، فطب رجال الدين السحرة ميز باللغة الاكدية بالعبارة asipûtu والطب العلمي : asûtu • والواقع ان الاكديين ميزوا بين هذين العلمين بدقة • واذا اردنا حقا معرفة كيفية معالجة الاكديين لمرضاهم فان كلا العلمين مهمان جدا لنا، واما اذا رغبنا في معرفة الطب الاكدي مجردا فان طبهم العلمي يهمنا فقط ويكون هو هدف الدراسه لا الاخر •

ان طرق العلاج لهذين الفرعين من الطب السحري والعلمي لم تكن ابدا مختلطة • فبالنسبة الى نوع معين من المرض نجد ذكر وترقيم عدة علاجات بعضها سحري والاخرى علميـة وكل واحد مفصول عن الآخر بفواصل (خطـــوط فاصلة) وفي بعض الاحيان مفصولة بفواصل مبالغ فيها وواضحة جدا ، ولتأكيد عدم الخلط هذا انه لو رفعت هذه الفواصل وجمعت العلاجات حسب ترتيب اصلها الطبيعي فان القارىء يستطيع ان يميز الوصفات الطبية العلمية عن السحرية وأكثر من ذلك نجد غالبا ذكر اسم (العلم) مميزا عن غيره • ونجد في عبارة حول مرض معين والتي تقول :

« انه لم يُستطع شفاؤه لا من قبل علـم الطبيب ولا من قبل الساحر » •

ونجد أيضا في حالة ايضاح علاج طبيعي يذكر : « اما الساحر فله ان يعمل ما يشاء » •

بعد هذه النصوص علينا ان لا نؤكد الاعتقاد كما هو سائد بان الطب تخلص من السحر بتقدم وانتصار وغلبة العقل على الخرافة بل نجد حتى في النصوص القديمة لوادي الرافدين بان الطب والســـحر تعاونـــا وتشاركا كعلمين تعليميين وتثقيفيين مستقلين وغالبا ما يكمـــل الواحـد الآخر •

فحول الرقيمين الطينيين السومريين من عصر أور الثالثة (٢٥٥٨–٢١٥٨ ق•م) نجد ترقيم سلسلة لوصفـــات طبية وكمثل على ذلك ندرج ترجمة علاج احدى الامراض ، مرض لا نعرفه حتى الان بسبب وجود كسر في النص :

« يغسل مكان المرض بالبيرة من النـــوع الجيد مع الماء الساخن ، تنخل وتعجـن قشرة السلحفاة وتخلط مع الاشنان والملح والخردل ،

بعد خلط الكل يدعك مـــرة اخرى بالزيت ويضاف اليـــه مسحوق الصنوبر ويفرك بذلك الموضع المريض من الجسم » (٣) •

من الامثلة والشواهد الاخرى يظهر لنـا بجلاء بان هؤلاء الاطباء العلميين الذين وصفوامثل هذه العلاجات الطبية لم يكن لديهم أي علاقـة بالاوامر والقواعد السحرية ، ومن الخطأ كما هو شائع الاعتقاد بان المرض كان وثيـــق الصلة بالتأثـيرات الغير طبيعيـــة ، وحتى في هـــذا العصر القديم جدا (عصر أور الثالثة) فبالنسبة الى التقدم العلمي في وادي الرافدين ، بالعكس كان المرض حتى في هذا التقدم من التاريخ يعزى الى اسباب وظواهر طبيعية ومؤكـــدة بوساطة الاختبارات •

في النص التالي والمؤرخ من القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، الملك زمريلم ، ملك ماري يخاطب زوجته :

« مسمعت بان السيدة تاناما قد أصـابها مرض وذلك لاتصالها جنسيا مرات عديدة مـع ساكني القصر وانها اتصلت جنسيا مع عدة نساء في محل سكنها • ولهذا اعطيت الاوامر الصارمة لاي شخص بعدم الشرب من نفس الكأس الذي تستعمله هذه السيدة ، بعدم الجلوس على المقعد الذي تجلس عليه ، وبعدم النوم على الفراش الذي تنام هي عليه • وعليها قطع الاتصال بعدة نساء في محل سكنها : فهذا شر مُعدٍ »(٤) •

في هذا النص نجد الاعتبار المنطقي والعلمي لمرض السيلان المعدي والذي نجده هنا الاختلاف عن واقعية العدوى بالسحر • ان الاطباء انفسهم كانوا استقرائيين أي انهـــم تدربوا بالتجربـة واستفادوا بصورة خاصة من التأثيرات والنتـائج الايجابية لعلاجاتهم •

سمى الاكديون العلاج Sammu ومعنى ذلك النبات ، الزرع وهذا يثبت ان في الاصل كان عـــلاج الـ Asoû مؤسسا على وصف العقاقـير النباتية الطبية وحوفظ على هذا الاصطلاح على مر العصر واستمر باستخدامه حتى انه اطلق للاشارة الى الاستعمالات الطبية من اصول نباتية وشمل أكثر العقاقير من أصول معدنية ايضا •

فمن الوصفات العلاجية بعضها اطلق عليه Sammu Latku ومعنى ذلـــك (دواء مُجرب) ، فالمعروف عندنا من النصوص والكتابات المسمارية بان بعض الادوية كانت تجرب على بعض الاشخاص ويصاحب ذلك مراقبتهم لمعرفة تأثيراتها وكذلك اجراء الاختبارات عليهم وتأثيراتها مـع المحافظة على تأكد عدم ضررها مسبقا • لذا فان الطبيب الاكدي كان فنانا في عمله اضافة الى كونه ذا خبرة وتجارب وعلمه لم يكن مستوحى من اله ما وانه كان علمانيا بعكس الرجل (الخـاص باخراج الارواح الشريرة) ولكن هذا لايعني ان الطبيب كان لا يؤمن ولم يشارك في معتقدات عصره وانه العقل الجبار ، بل نجد ان هـؤلاء الاطباء كانوا يؤمنون كغيرهم في ذلك العصـر بالعين الحسودة والشعوذة ، واعتقد الطبيب أيضا بان عالما بدون الهة غير ممكن ادراكه وكان في بعض الاحيان يشكر هذه الالهة لشفائها أحـد

(٣) Revue d'Assyriologie et d'Archéologie. 54, 64, 102.

(٤) نصا « هذا الشر الذى ينتشر » • انظر :

Finet. les médecins au royaume de Mari. 129.

مرضاه ، كان كذلك يعتبر طبيعيا ان يرسل الملك مع الطبيب احد رجال الدين (الذي يقوم بوظيفة اخراج الجن من الجسم) وكان الطبيب من الاوائل يستشير رجال الدين السحرة ليؤكدوا له احكام المستقبل وبهذه المواقف تمكن الان من معرفة دور الطبيب وشخصيته في المجتمع باعتباره فردا عاديا في حياته الاجتماعية والدينية خلال معرفته بفنون الطبابة •

الادب الطبي

تتألف الاداب الطبية كما يسميها البروفسور لابات من عدة مجموعات من النصوص فالمجموعة الاولى بسيطة نسبيا وتضم قوائم باسماء النباتات والمواد الطبية ، فهارست ومذكرات ، وبين هذه النصوص يوجد رقيم طيني جدير بذكر خاص : الرقيم موقع بأسم طبيب ـ تلميذ (ونادرا ما وجد مثل هذا الذكر ما عدا رقم قليلة جدا) كان على هذا التلميذ ان ينسخ هذا الرقيم ليتعود على كتابة الصيغ والعبارات الخاصة : يحتوي الرقيم هذا على تأليف طبية تعليمية ويمكن وصفها بانها اشبه بالمذكرة ويستخدمها الطبيب ونصها يتألف من ثلاثة اعمدة :

العمود الاول ـ يدرج اسماء النباتات •

العمود الثاني ـ يدرج اسم المريض •

العمود الثالث ـ ادراج الطريقة الموجزة لتحضير واعطاء الوصفة للمريض •

ان هذا النص يزودنا بالمعلومات التالية : الدواء ، وصفه ، طريقة الاستعمال

ـ صَبرْ : دواء لمعالجة المرارة : يفتت ويدق ويسحن ويوضع في البيرة ثم يُشرب •

ـ نبات (Kammu) دواء ضد السعال : يوضع فوق اللسان ويشرب قبل الفطور مع الزيت المصفى •

يوجز العمود الاول أيضا انه في حالة الضرورة فان الاجزاء التالية من النبات يكون استعمالها أفضل وهي : البذور ، الجذر ، الصمغ ، ثم اطراف النبات ••• الخ •

في العمود الثاني تُذكر وترقم الاعضاء المريضة وجملة من الامراض قسم منها فقط استطيع معرفته بصورة أكيدة ومطمئنة •

السطر الاول يعالج موضوع الاسنان المريضة : اذا كان فيها نخر او متذبذبة •

قسم موجز أيضا يذكر كيفية جعل المرأة كثيرة الولادة (خصبة) أو كما يذكر النص (لاجل ان تأخذ البذور) يوصف لها حبوب السُماك ويشرب بقدر ملء ملعقة ، او حبوب العنب المسحوقة تشرب بنفس الطريقة السابقة او عن طريق حقنات متعددة عن طريق المهبل •

ثلاثة حقول اخرى تُعالج خصائص تسعة نباتات موصوفة كعلاج لـ (اختناق المثانة) ، يُقضى على هذا المرض بتناول عدة ملاعق من الدواء الموصوف من هذه النباتات او بنفخات موضعية وكمثل على ذلك نسرد النص التالي :

« صَمْغ نبات الـ nuhurtu : دواء ضد اختناق المثانة : يشرب مع البيرة ، يسحق ويدق بزيت نباتي ، ينفخ بوساطة انبوت خاص في داخل عضو الذكر » •

ولمعالجة مرض المرارة ذكرت عدة أدوية من الصَبر ومنها الكمون وكذلك اطراف نبات الانل

التي كانت تسحق وتدق وكان يفضل وصفها مع البيرة •

ظاهرة السخونة وارتفاع درجة الحرارة تحتل قسمين من هذه المذكرة الشهيرة • عدة أنواع من الادوية وصفت لهذه الظاهرة منها الاشارة الى وجوب عمل (غرغرة) وغسل الفم بمادة زيتية ساخنة او دلك الموضع بالزيت • أطراف نبات العليق (العوسج) أو الثوم مخلوطا مع الخردل (؟) تورد أيضا لعلاج ظاهرة السخونة •

اما للرئتين فقد وصفت عدة نباتات يؤخذ الدواء منها بشكل محلول لمعالجة قصبة الرئة ويتناول بوساطة قصبة من الخيزران (كتبت هذه التفصيلات بصورة خاصة لمرض القصيبات الرئوية والتي يصعب فيها على المريض ان يتنفس أي انه يُظهر صوتا نابعا من صدره اثناء التنفس) • ادرجت أيضا طريقة اخرى لتناول هذا الدواء للرئة بوساطة شرب المحلول بملعقة •

ضد ظاهرة السعال ذكرت أيضا عدة نباتات، بذور أو جذور هذه النباتات تسحق وتدعك مع الزيت قبل تناولها •

يتبع ذلك ذكر عبارةطويلة مخصصة لشروح العلاجات وبصورة خاصة العلاجات بطريقة استعمال (انفتائل) المتركبة من المواد التالية :

النعناع ، شجر الفار او الرّند ، بذور نبات الاثل ، جذور نبات اللُفاح (سراج القطراب) ، مُرّ مكاوى ثم نبات الحرشاء أو نبات البنج (السيكران) مخلوط هذه النباتات كلها يسحق مع بعضه وينقع ويشرب بزيت شجرة العرعر أو يخلط بشحم الغنم •

بعد هذين القسمين من النص نأتي على النهاية المتكونة من ذكر مانعين في استعمال العلاجات :

« على الذين عندهم مرض في اعينهم عدم أكل الكراث او الكزبرة ، وعلى الذين يشكون المآ في آذانهم بعدم تناول الباقلاء ••• »

ان لطرق تحضير أو استعمال كل نبات من هذه النباتات المذكورة تعاليم مدونة في العمود الثالث من هذه المذكرة وفيه بعض المرات ذكر درجة الحرارة المفضل اعطاء الدواء للمريض أثناءها وكذلك وقت تناول الدواء ومدة المداومة عليه •

ان اعطاء هذا النص الشهير هذه الاهمية والشروح لكونه من النصوص النادرة جدا والتي تختص بذكر الدقائق والتفصيلات الطبية (الفزيولوجية) والاهمية الاخرى هي ذكر جملة نباتات طبية استخدمت أجزاؤها كأدوية لعدة أمراض وتتناول بشرب محلولها في اليوم الذي لا يظهر فيه القمر •

بذور نبات القنب وبذور الـ alhamzu ذكرت كدواء ضد عين الحسود : (لاجل أن لا تقرب هذه العين من الرجل ينصح بأخذ هذه البذور مسحوقة مع زيت نبات العرعر • بهذا نجد ان بين أكثر من مائة وخمسين صيغة ذكرت في هذا الرقيم الطيني الطبي صيغتين فقط جرأ الناسخ (وهو طالب الطب المعنى بكتابة هذه المذكرة) على ذكرها ويظهر لنا أيضا ان وصف هاتين الصيغتين الاخيرتين كان مستعملا ، واشير باستعمالها من قبل طلبة الطب • ومما يجدر ذكره أيضا ان مجموعات اخرى من هذه الرقم الطينية المعالجة لمواضيع طبية والمرقمة لذكر نباتات طبية

والمستنسخة من قبل نفس طالب الطب هذا قد عثر عليها على شكل كسرات وقطع مبعثرة • يعـــالج البروفسور لابات في ترجمته لهذه القطع الطبيـــة والتي هي صعبة الترجمة ويسهل الوقوع في أخطاء كثيرة بسبب كونها مستنسخة يد طلاب هم في الواقع ليسوا بنساخ ماهرين وبسبب كونهـــــا مستنسخة بالاستلهام والاخذ من عدة مصـــــادر متشعبة ومختلفة •

القسم الاول من هذه المجموعة خاص بعلم أعراض الامراض ، تخمينها ومن ثم تشخيصها •

القسم هذا منظم بترتيب عدة أمثلة لبحث خاص معين يشمل أربعين رقيما أو فصلا مرقمة وموزعة في خمسة أقسام • بعض هذه التآليف المستنسخة تقسم هـــذا البحث الخاص الى جزئين واســعين وتطلق على الاول ظاهرة الداء وعـلى الآخـر الجسم المريض(٥) •

ان هذا البحث الخاص في التخمين والتشخيص الطبي هو بحد ذاته مؤلف من معلومات وبراهين ليس فقط في بحث الطب بل أيضا في الســـحر والالوهية وهذا ليس بغريب كما موضح ذلـــك سابقا من ان ظواهر المرض تهم ليس فقط الاطباء وانما رجال الدين السحرة أيضا اضافة الى ان علم (التخمين) هو قسم من علم (معرفة المستقبل) •

البحث هذا يبدأ بديباجة مكونة من رقيمين طينيين مرقمين بتفسير وتأويل الامراض وسلسلة من قراءات للمستقبل حيث الساحر يتلو وهـو على رأس المريض بكلام عن هذه القراءات ونلاحظ عدم وجود أي شيء يسمى طبا بمعناه الصحيح في هذه الديباجة •

القسم الثاني ويتألف من اثني عشر رقيما طينيا والقسم هـــذا بمجموعه يسلسل علامات ظهور أعراض المرض فوق جسم المريض الذي يفحص عادة من الرأس حتى نهاية القدم • ومن حالـــة المريض ، لون بشرته وجسمه ، درجة حرارته وأخيرا من حركات أعضاء جسمه كلها أو بعضها يمكن تخمين المـــرض وخطورته والتي تتمركز بتطرف اما الشفاء أو الموت • ان النهايات الناتجة عن هذه الحالات المرضية مرتبة حسب البدايات الاولى لعوارض المرض :

« اذا كانت حنجرة المريض متورمة ، اذا كان لحم جسمه خاسفا مع ظهور بقع حمراء فانه سيموت » •

ونجد ايضا تأويلا لحالة أخرى أكثر بروزا في تشخيص الموت وكثرة حوادث ذلك بوساطة أعراض المرض الظـــاهرية أو عناصر معينة من أعراض المرض يتبعه تخمين ونصه كالآتي :

«اذا كان أنف المريض باردا : فانه سيموت»

وان القسمين التاليين يتألف كل واحد منهما من عشرة رقم طينية لم يعثر على بعض منهـــا حتى اليوم •

يبرز هـذان القسمان ترتيبا أقل في تنظيمـه من السابق • نرى مرة ان المرض في هذه الحالة غير مدروس حسب «البيئة» ولكن حسب «تسلسل تاريخي خـــاص» ثم حسب «علم الكائنات» على اعتبار ان المرض كائن وبيل •

---

(٥) من المعـــروف ان الطبيب الاغريقـــي كلوديوس كالينوس (في القرن الثاني الميلادي) والشهير باكتشافات كثـيرة في حقل التشـريح والكاتب لعدة فصول وبحوث في ذلك كان قد قسم الادوية حسب الاعضاء المريضة وحسب طبيعـة المرض • « المترجم »

ان القسم الخامس من المجموعة الثانية والذي هو الجزء الاخير من هذا البحث مكرس كليا الى المرأة والاطفال الرضع ويتألف من عشرة رقم طينية لا نملك حتى الان غير ثلاثة منها ، فالاول يسلسل العلامات التي تظهر على المرأة الحامل والتي بوساطتها يعرف فيما اذا كانت المرأة الحامل ستستمر على حمل الطفل بصورة طبيعية أم العكس، فيما اذا كان الطفل سيولد بالمدة الطبيعية أم لا ، وفيما اذا كان الطفل سيولد ضعيفا أو متمتعا بصحة وافرة .

الرقيم الطيني الثاني من الثلاثة الاخـــيرة هذه يبحث موضوع المرأة الحامل ايضا ولكن في قسم خـــاص بالامراض حيث تكون المرأة الحامل معرضة للاصابة بها أيضا .

الرقيم الثالث والاخير يكون معالجا لموضوع الاطفال الرضع الذين هم أكبـر سـنا بقليـل أيضا . يذكر الرقيم الآلام الناتجة في وقت خروج الاسنان الحليبية للرضيع واضطرابات المعـــدة والامعاء ، التشنجات الحاصلة ، الاستفراغات ، التخوفات المفاجئة ، الصراخ ومن ثم ذكر الدموع المنهمرة من عيون الطفل نتيجة لذلك .

اننا بالاطلاع على هذه الاوصاف الدقيقـــة نفاجأ حقا بمكانة هذه التشخيصات المبنية عـــلى تجارب عملية على هؤلاء الاطفال ومراقبتهم وايضا على البحوث النظرية من علوم طرد الجن وكذلك علوم الالومية . ان طارد ومحارب الجن من السحرة يظهر في عدة مناسبات في هذه الرقم الطينية . ففي عنوان أحد هذه الرقم يبدأ :

بـ « عندما يزور طارد الجن دار المريض » .

وفي نهاية القسم الثاني نجد جملة في مخاطبـــة الساحر : « عند الحاجة الى التقرب من المريض، عليك قبل اشفائه أن ترتل كلمات السحر والرقي على نفسك أولا » .

ونجد مثال هذا القول في محل آخر : « طارد الجن لا يعمل أي طقس لانقاذ المريض » ونجد أيضا : « عندما تكون قد عملت عمليات السحر الصالحة فان المريض سيشفى » وكذلك نجد : « عندما تكون قد أمليت على المريض كلام السحر فانه سيشفى » .

ان تخمين المرض في هذا الرقيم الاخـــير وأعراضه وأسبابه لها علاقة بالهة معينة أو بجنّي أو قوة شريرة ، الرقيم هذا يذكر بأن سبب المرض يعود في بعض الحالات الى قوة مؤثرة جدا وفي هذه الحالة أيضا لا يجب تعميم الحالة، ففي حالات مختلفة يظهر ان دراسة الاســباب والعلل لهذه الامراض أخذت أهمية كبيرة بين المعالجين بالسحر عنها بالنسبة للطبيب . ونقطة اخرى هي ان كل هذه الامراض ليس لهـا أي مسببات غير طبيعية وكثير من هذه الامراض لم يذكر مسبباتها أصلا ويحتمل ان قسما آخر من هذه الامـراض عُـزي الى مسـببات طبيعية : فيزيائية : كالبرد والريح والجفاف والحرارة والاتربة ، وفسلجية : كالاضطرابات الغـــذائية وسوء الهضم ، التشوه الوراثي ، تكون الحصاة في المثانة ، خروج الاسنان الحليبية عند الاطفال، وأخيرا الامراض الخاصة بعلم النفس نفسه ومنها الاضطرابات العقليـة والاضطـرابات العاطفيـة الناتجة عن الحب .

ومما يجدر ملاحظتـــه أيضا ان تشخيص الامراض بطريقة السحر كان يلاحظ فيه تقسيم

جسم الانسان الى أزواج من الاعضاء والاعضاء المكررة ، فالفاحص يهتم في تمييز أعراض الجهة اليمنى واليسرى والكل ويطبق هذا التقسيم حتى على الاعضاء المفردة معللا بطريقة مجتمعة يسارها ويمينها ومجموعها ولا ينسى الاعتبار السحري يكون اليمين هي الجهة الصالحة المفضلة واليسار هي الجهة التي تمثل الشؤم ، وعلى نفس الاسس يجري معرفة اعراض الامراض حسب اختلاف الالوان فالنص يعالج بصورة متتابعة : اذا كان لون أحد الاعضاء (أي كان) أحمر ، أصفر ، أسود ، مزرق ، أسمر غامق ، ملتهب وبارز أو متدلي فالتتابع يكون مختصرا والوصف يكون غير قابل للتغير أو التقلب •

ان هذه التصورات الذهنية الباحثة في (التضاد المبني على اليمين واليسار والرموز اللونية) تعتبر من العناصر الرئيسية في مفهوم الافكار النظرية الاكدية ولكن ما هو مهم بالنسبة لتاريخ العلوم اذا فهمنا تطبيق هذه الطرق المشتركة على الفأل والعرافة وعلى علوم التخمين المرضي فاننا نتحقق انه بالرغم من تقدير البعض على كون الاكديين مخالفين للصواب في اعتباراتهم هذه فانهم في نفس الوقت بذلوا جهودا محمودة للتخلص من هذه الطرق العلاجية الميكانيكية • فالتضاد الوارد في ذكر اليمين واليسار لا يزال موضوع بحث بعد الخلاص من جفائه التفسيري• فليس اجبارا تفسير اليمين بالمفضل واليسار بعكسه طالما لا يكون هناك تمييز حقيقي ومنطقي في الاعراض وكذلك بالنسبة للالوان فعلم اعراض الامراض يتفق بهذه الظاهرة ولكن لا يتفق مع هذه الرموز القلسية فالبياض يصبح زرقة ضاربة أو مائلة للسواد ، الاحمر علامة الالتهاب ، الاصفر علامة اضطراب الكبد ، الازرق علامة الرضوض ••• الخ • ان العلامات المعزولة والمنفردة ليس لها وحدها اعتبار معين لدى الطبيب فليس لهذه العلامات الا أهمية دالة ذات أهمية : « اذا كان أنفه أحمر يموت » يعني ذلك انتبه ، فاحمرار الانف من الممكن أن يعود الى أحد الجداول الطبية والتي تخمن ذلك بالموت •

ان الطب الاكدي يبحث في تحديد العلاقة بين بعض العلامات الطبية والاوقات التي يمكن ملاحظتها في الليل أو النهار • ويبحث كذلك بأن ظاهرة ما من الممكن أن تكون مجرد ظاهرة ثانوية وتدون بالتدريج البداية الحقيقية للمرض الذي من الممكن أن يكون داخليا بظهور علامة واضحة ، وتحديد « نقطة التصادم » الرئيسية التي من الممكن أن لا تكون متصلة بموضوع ومكان الظاهرة المرضية •

هذه الاهمية تجبر الطبيب المخمن للمرض على تعليق أهمية كبرى على تطور الالم وتفاقمه وهناك رقيمان أو بالاحرى مجموعتان تعالج هذا الموضوع • وبهذه البحوث يظهر ان الطبيب الاكدي قد بين وأوضح كثيرا من الظواهر التي هي بنظره مهمة : فمنها ما يتعلق بالمرض الذي له عدة وجوه أي ظواهر ثم مدة تطوره بالايام وتحديد نوع الالم ، ومثال ذلك :

« اذا مرض رجل خلال خمسة أيام وفي اليوم السادس سال دم من فمه : فان مرضه يمكن معالجته • فالمرض هو السخونة نتيجة ارتفاع الحرارة » • ان شرح الاعراض المرضية يجر الطبيب أحيانا الى تشخيصات مختلفة وبصورة

خاصة نجد المثل المشوق التالي :

« اذا حصل عند مريض أن رقبته تجنح في ميلانها الى اليمين بدون توقف واذا حصل تشنج في يديه ورجليه واذا انغلقت عينيه ، واذا كان لعابه يسيل من فمه وكونه يعمل شخيرا فهذه هي نوبة سميت بالاكدية بـ « انتاسبو » anthasubbû

« وفي حالة حصول النوبة عند المريض ، فان شعوره يبقى حيا يقظا وهذا مؤكد وبالعكس فهي حالة حصول النوبة وفقد الشعور فهذا ليس مؤكدا (أي فقد الشعور) • »

هنا نجد بجلاء تجربة الطبيب البابلي في التمييز بين صحة الاعتبارات الالهية أو تأثيرها وبين حدوث الهستريا •

نذكر أخيرا الاهمية التي يعلق عليها الطبيب بجس الحرارة عند المريض وفي عدة مناطق من جسمه بالاضافة الى جسه لنبض المريض ويؤكد أهمية كبرى على خفقان الشرايين في الصدغ والاذرع والرجلين ويربط فيما اذا كان الخفقان منتظما أو سريعا أو اذا كان هذا الخفقان في طريق الزوال •

نصل بعد ذلك الى مجموعة القسم الثالث والاخير من النصوص التي تحتوي على الادب الطبي الاكدي •

فطريقة تحرير هذه المجموعة الاخيرة لا تختلف عن السابقات وتحتوي على ثلاثة شعب أو أقسام ، فالاول يرقم لنا الاعراض بصورة مختصرة « عندما يسعل الشخص » و « اذا تألم شخص بعمق » وبأكثر تفصيلا نجد أيضا :

« اذا تألم أو عانى شخص من وجود مغص في داخله واذا رفض داخله تقبل الطعام واستفرغه من الفم ، واذا كانت معدته (تؤلمه بنقطة معينة) واذا كان يتقيأ بدون توقف ، واذا كان لحم جسمه عديم الحركة والحيوية واذا كانت عنده غازات كثيرة تتحرك في داخله وتخرج من أسفل بطنه ••• » بهذه الاعراض من الممكن الحصول ، اذ ينقص غالبا التشخيص •• على :ـ

« هذا الرجل يعاني من احتقان الامعاء (أو سوء الهضم) ، التقلص الرئوي ، البواسير ، اليرقان والخ ••• » •

وبصورة نادرة نجد ذكر أسباب وعلل المرض وكما رأينا في مجال بحث تخمين المرض فان السبب هنا يجوز أن يكون طبيعيا أو غير طبيعي • فعدم ذكر المسببات في النص بصورة دارجة يجعلنا نفترض بأنه في كثير من الحالات نجد طريقة المداواة أو العلاج لا تأخذ باهتمام المشاكل المتعلقة بعلم دراسة وتحليل أسباب الامراض للوصول لحقيقة المرض •

الجزء الثاني من هذه المجموعة الاخيرة يختص بذكر الوصفات التي تناسب استعمالاتها وطريقة تحضيرها وتطبيقها على المرضى وفيما يلي مثلا على ذلك :ـ

« اذا كان رجل مريضا ووصل المرض داخل اذنيه وحين حدوث صعوبة في السمع : يأخذ مثقالا من ماء الرمان ومثقال من عصير نبات الصبر (؟) ، تؤخذ خصلة أو فتيلة وتُشَرّب بهذا المخلوط وتُدخل في الآذان • تستعمل الفتيلة هذه لمدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع يُرفع الصديد من داخل الاذنين وتنظف (بعناية) واذا لم يسل الصديد والقيح الا على شكل نقطة

فنقطة ، فينفخ مسحوق الشب في داخل الاذنين بوساطة انبوب من القصب » •

بصورة تلقائية نجد ان المعالجات تأخذ صورة معقدة وقسم آخر بسيطة جدا فنجد مثلا انـه لعلاج أحد الامراض البولية واسمه (masû) من ناحية وصف مسحوق ٣٧ نبات أو عناصر معدنية مختلفة بنفس الكمية ، يخلط المسحوق مع النبيذ ، مع البيرة أو مع الزيت ويشرب من قبل المريض • ومن ناحية اخرى نجد وصـــفة ثانية اخرى تتميز ببساطة بنفخ وضعي من نبات (الحور) مخلوطا بالزيت •

وغالبا جدا نجد ان الطبيب له الاختيار بين عدة وصفات من الدواء ونملك رقيما طينيا يذكر ٣١ طريقة مختلفة لمعالجة مريض بداء الصفراء •

هذه المعالجات من الممكن أن تكون مقسمة حسب طبيعتها : كدواء يستعمل كشرب ، تدليك، تبخير ، لصوق الخ ••• وأيضا نفس الترتيب هنا ممكن أن يضم عدة وصفات : غسيل داخلي ومقيء ، تدليك وكدواء للشرب الخ ••

نأتي الى الجزء الثالث والاخير من هـــذه المجموعة الثالثة والتي تبحث في نتائج المعالجات ونتيجة المرض والتخمين في هذه الحالة يكون ملخصا جدا أيضا وفي العادة يكون حسنا :المريض سيشفى ، سيخف ألمـه ، سيسترجع قواه ، وفي بعض الحالات بدل التخمين بالشفاء يقتصر النص على التنبوء بنهاية مشؤومة جدا وفي هذه الحالة ذكر النتيجة يكون مسبقا بشرح التجربة ويفهم ان المريض سيموت اذا لم تعمل له هذه التجربة أو العملية ، أما في الحالات اليائسة جـــدا فالنص يذكر عوارض المرض ويطلق الموت ولا يصف أي دواء واضافة الى ذلك يمنع الطبيب العلمي من التدخل في الموضوع : « اذا كان شخص يعـاني من ال abbâzu (داء الصفراء المستفحل) واذا كان رأسه ووجهه وكل جسمه ومؤخرة لسانه أسودا : فان الطبيب سوف لن يقرب اليد منه : هذا الشخص سيموت ، سوف لن يشفى » •

هذه الرقم المكتوبة والباحثة في علم مداواة الامراض ومعالجتها عديدة جدا ، عدد كبير منها جمعت ونظمت بالتسلسل ورقمت وتضم تجارب خاصة في هذا القسم أو ذاك من الجسم : الاذان ، الكبد ، الاعضاء التناسلية الخ ••• هذا النوع من المرض أو ذاك : الســـخونة ، الامراض الجلدية ، الفالج الخ ••• وأخيرا في المسببات العامة للامراض : طبيعية أو غير طبيعية ، عدة رقم مكرسة لمعالجة الامراض النسائية (اختلاف مواعيد الطمث عند المرأة ، الولادة ، البرودة الجنسية عند المرأة) هذه الرقم جمعت في تسلسل العلوم الاكدية الباحثة في الامراض النسائية •

بهذه المجموعات من الرقم وعلى الرغم من عدم وجود شروح كافية في مضامينها بالنسبة لنا في الوقت الحاضر ولصعوبة تحديد معاني كثير من الكلمات والمفردات التكنيكية الخاصـــة بالموضوع فيمكن القول مع ذلك بأننا نملك الان معرفة لا بأس بها عن الطب الاكدي •

نذكر اضافة الى كل ذلك أيضا بأنه حتى اليوم من الصعوبة تحديد معاني كلمات نادرة جدا والتي تشير الى هذا العضـو من الجسم أو ذاك أو الى مرض معين النص يذكـر معنـاه أو اسمه في كلمة أو تعبير لا يزال غامضا بالنسبة لنا • أيضا أسماء النباتات المتعددة والمعـــادن

المستعملة لا يزال بعضها أيضا غامضا على الرغم من الدراسات العلمية المتعددة والمتطورة جدا الباحثة في هذا المضمار ، لهذا يصعب في بعض الاحيان ابداء الرأي في بعض الوصفات المعطاة للمريض للصعوبة الموجودة في تحليل المخاليط المعقـــدة جدا .

نقطة اخرى ألا وهي تطور المعارف الطبية خلال العصور في وادي الرافدين فكل شخص يتحرق لمعرفة كيفية تطـــور الافكار والطرق وتكنيك الطبيب وحتى حركاته المستخدمة قبل التقرب من المريض وهنا أيضا يوجد اشـــكال لا يزال غامضا ، فالكتابات الادبية تخفي ما نريد اليوم معرفته وما بين أيدينا ما هي الا مؤلفـــات فترة معينة وبعدها فان هذه النصوص ، كما ألمحنا سابقا ، استنسخت واعيد استنساخها وخلال هذه الفترات المتعاقبة في الزمن في وادي الرافدين ألم يحصل أي تطـور اضـافي على الاصـول القديمة ؟

وهل من الممكن الاعتقاد كما يتصور البعض بأن احترام النص المكتوب صلب وعرض قســاوة اطلاعات ومعارف ممارس الطب الخلاقة ؟

وبالعكس هل يجب الشعور بأنه خلف هذا التسليم بالامر هـل ان الاطبـــاء في ممارستهم وباطلاعهم الشفهي قد استمروا وواظبوا عـــلى تطوير وتمحيص معلوماتهم ؟ كثير من الاسئلة الاخـرى والمتعـددة تـراود مخيـلة الباحثين وأعتقد بأن المكتشفات الجديدة سوف توضـــح وتبرز وتحل الاستفهامات المعلقة اليوم .

ـ انتهت المحاضرة ـ

للبروفيسور لابات بحوث اخرى حول الطب الاشورى والبابلي ادرج ادناه ما نشر منها حتى عام ١٩٦١ .

Labat, R. Traité akkadien de diagnostics et pronostics médicaux, II vols, 1951.

Labat, R. A propos de la chirurgie babylonienne. (extr. du journal Asiatique, 1954, pp. 207, 218).

Labat, R. A propos de la fumigation dans la médecine assyrienne (RA. LV. 1961, p. 152-53).

Labat, R. La médecine babylonienne (conférence faite au palais de la découverte le 18. IV. 53.

Labat, R. Ordonnances médicales ou magiques, (RA. LIV, 1960 p. 169-176).

Labat, R. Le premier chapitre d'un précis médical assyrien. (RA. LIII, 1959, p. 1-18).

Labat, R. Un traité médical akkadien (RA. 1945-6, p. 27-45).

Labat, R., et Tournay, J. Un texte médical inédit (RA. XL. 1945 6, p. 113-122).